مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيمِ النَّبَوِيِّ:

جَمَالِيَّاتُ التَّشبِيهِ فِي خُطَبِ الرَّسُولِ الأَعظَمِ ﷺ

محمد إسماعيل محمد كنجو[1]
١ جامعة حلب / كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة / قسم اللُّغة العربيَّة، سوريا؛
Sunmkd2021@gmail.com
دكتوراه في اللغة العربية / مدرس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٧/١	٢٠٢٣/٨/١٠	٢٠٢٣/١٢/٣١

DOI: 10.55568/t.v16i28.21-38
المجلــد (١٦) العــدد (٢٨)
جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ-كانون الأول٢٠٢٣م

مُلَخَّصُ البحْث:

يهدِفُ هَذَا البحث إلى رصدِ التَّشبِيهِ، ودَلَالَاتِهِ فِي خُطَبِ الرسول ﷺ، فِيقفُ عندَ أَنواعِ التَّشبِيهِ فِي الخُطَبِ، وكَيفَ تَراصَّتْ معنَوِيًّا مَعَ العنَاصِرِ اللُّغويَّةِ الأُخْرَى لِتُشَكِّلَ الجِسمَ الكَامِلَ لِنَصِّ الخطبَةِ، وطَافَ البَحثُ فِي أَنوَاعِ التَّشبِيهِ المستَعمَلَةِ فِي الخُطَبِ كَالتَّشبِيهِ تَامِّ الأَركَانِ، والتَّشبِيهِ البلِيغِ، والتَّشبِيهِ التَّمثِيلِيِّ، والتَّشبِيهِ المَقلُوبِ، ولَمْ يَقفِ البَحثُ عندَ حُدُودِ إِحصَاءِ عَدَدِ مرَّاتِ وُرُودِه منهَا وَشَرحِهِ وَتحلِيلِهِ، بَل تَعَدَّى ذلِكَ لِبَيَانِ كَيفَ نَزَلَ التَّشبِيهُ فِي النَّصِّ إِلَى جَانِبِ غَيرِهِ منَ العَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ منزِلَةَ اللَّبِنَةِ مِنَ الجِدَارِ، وَلَمْ يَكنْ مجَرَّدَ أَدَاةٍ تَزيينِيَّةٍ لَجَأَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَيهَا لِإِضَافَةِ زَخرَفَةٍ لُغَوِيَّةٍ محَدَّدَةٍ، بلْ كَانَ عنصُرًا نَاهِضًا بِمَعنًى مَا كَانَ لِيُلحَظَ لَولَا التَّشبِيهُ، وَقَدْ بيَّنَّا ذَلِكَ فِي التَّحلِيلِ لاستِعمَالِهِ.

الكلمات المفتاحيّة: جماليَّات، النبيّ، التشبيه، خطب

Aesthetics of Simile in Sermons of the Greatest Messenger

Muhammad Ismail Muhammad Kanjo[1]

1 University of Aleppo / College of Arts and Human Sciences / Department of Arabic, Syria;

Sunmkd2021@gmail.com

PhD. in Arabic language/ lecturer

Received:	Accepted:	Published:
1/7/2023	10/8/2023	31/12/2023

DOI: 10.55568/t.v16i28.21-38

Volume (**16**) Jumada Alakhirah 1445 AH

Issue (**28**) December 2023

Abstract:

The present research aims to monitor similes and their implications in the sermons of the Chosen One , may Allah bless him and his family and grant them peace , and the other linguistic similes to form the whole body of the text of the sermon .The research explored the types of similes used in sermons, such as the full-elemental simile , eloquent simile, representative simile and inverted simile, The research never delimits itself to count the number of times , but rather goes beyond that to explain how the analogy in the text was revealed . With other essential linguistic elements , they are not just decorative tools that the Messenger , may Allah bless him and his family and grant him peace, resorted to for specific linguistic aesthetics .

Keywords: aesthetics - the Prophet - simile – sermons

توطِئَةٌ:

يُعَدُّ التَّشبيهُ فِي الكلامِ مِنْ عنَاصِرِ التَّصويرِ فِيهِ، وتنهضُ الصورَةُ بِوَظيفتينِ في الكلامِ، وظيفة جمَالِيَّة تضافُ إلى النصِّ، وأخرى معنَوية، إِذْ كَثيرًا مَا يكونُ الغرضُ مِنَ التشبيهِ توضِيح المعنَى الَّذِي سيظلُّ مُلبِسًا لو لم يلبسْ عبَاءَة التَّشبيهِ، ويعرضْ بِمعرَضِ الصُّورَة، مِنْ ذَلِكَ أَن تَقُولَ: العِذْقُ كالعنقودِ، فَالغَرَضُ مِنْ هَذَا التَّشبِيهِ إِيضَاح معنَى المُشَبَّهِ، وَلَا يخفَى عَلَى متبَصِّرٍ فِي كتُبِ البلاغَةِ أَنَّ للتَّشبِيهِ أَنوَاعًا عَدِيدَةً، وأَصنَافًا متبَايِنَةً من حيثُ التركِيبُ والدَّلالَة، ولِكلٍّ منهَا سِياقٌ لَا يحسُنُ غيرُهُ فِيهِ، وَتتفَاوتُ بلاغَةُ المتكلِّمِينَ، كمَا هوَ معهود، بِتفاوتِ قُدُراتِهم على استِعمَالِ العنَاصِرِ اللغويَّةِ مناسِبة لِسيَاقَاتِهَا، ومِنْ هذه العنَاصِر التَّشبيه، فكلَّما أحسنَ المتكلِّمُ توظيفه نزل في النصِّ منزلةً حسنةً وأدَّى من الأغراضِ المعنَويَّةِ مَا أَرَادَ لَه المتكلِّمُ أَن يُؤدِّيَ، ولَا يخفى أيضًا علَى عالِمٍ بِأساليبِ النَّاسِ أَنَّ الكلامَ النَّبَوِيَّ قَد تربَّعَ على عرشِ بلاغَةِ النُّصُوصِ الدُّنيويَّةِ، فقدْ كانَ الرسول ﷺ أَفصحَ العَرَبِ لِسَانًا وأجودهم بيانًا، وأحسنهمُ تخيُّرًا للألفَاظِ والتَّراكِيبِ، وتوظِيفًا لَهَا فِي أماكِنِهَا، ولِذَلِكَ اخترنَا في هذا البحث أَن ندرسَ جمَالِيَّاتِ التشبيهِ فِي خطبِهِ لِبيانِ شيْءٍ مِنْ حُسنِ موقِعهَا.

أَوَّلًا-مِهَادٌ فِي بلاغَةِ الرسول الأعظم ﷺ:

تُعَدُّ بلاغة النبيِّ ﷺ ممَّا لا ينكرُ، ولَا يستَطِيعُ أَن ينكِرَهُ إِلَّا جاهِلٌ أَو مكَابِرٌ، وَكَيفَ وَقَدْ تغنَّى نفسُهُ بِفَصَاحَتِهِ، وبَلاغَتِهِ قَائِلًا: [أَنا أَفصح الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ ونشأْت فِي بَنِي سَعدٍ][1]، وَهذا تأكيدٌ للفَصَاحَةِ بالفصاحة، وللبيان بالبيانِ، فقريشٌ أفصحُ قبيلَةٍ في العربِ، وبنو هاشمٍ أفصحُ القرشيِّينَ لِسَانًا، والنَّبِيُّ ﷺ أفصح الهاشِميِّنَ، وقَدْ وصَفَ الجاحِظُ (تـ ٢٥٥ هـ)، طَرَفًا مِنْ كلامِ الرسول ﷺ، قَائِلًا: "هو الكَلامُ الَّذي قلَّ عددُ حُروفه وكثرَ عددُ معانيه، وجلَّ عن الصَّنعةِ، ونزُه عن التَّكلُّفِ.... وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبَّة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلَّة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلَّة حاجة السامع إلى معاودته.... لم تسقط له كلمة، ولا زلَّت به قدم، ولا بارت له حجَّة،

١ بن سلام، أبو عبيد القاسم. غريب الحديث، تحقيق. محمد عبد المعيد تحقيق خان، ط١ (حيدر أباد: دائرة المعارف، ١٩٦٤)، الجزء الاول ١٣٩.

ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذّ الخطب الطوال بالكلام القصار، ولا يلتمس إسكات الخصم إلَّا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلَّا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلَّا بالحقِّ، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يبطئ ولا يعجل، ولا يسهب ولا يحصر."[٢]، وقد نقلنا كلَّ هَذَا الكلام على طولهِ لنفاستهِ، وكونه جامعًا مَانعًا فِي بلاغَتِهِ ﷺ، وقد أفرد الجاحظُ كَثيرًا من الجزءِ الثَّانِي من البيان والتبيين للحدِيثِ عن بلاغةِ النَّبيِّ ﷺ.

أ- التَّشبِيهُ لُغَةً:

تَرتبطُ مادَّةُ (ش ب هـ) في اللغة بمادَّةِ (م ث ل)، فيقالُ: شِبْهٌ وَشَبَهٌ وَشَبِيهٌ، كَمَثَل وَمِثْل ومَثِيْل[٣]، والتَّشْبِيهُ: التَّمْثِيلُ، وأُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بَعْضًا؛ وَبَيْنَهُمْ أَشْباهٌ أَي أَشياءُ يتَشابهون فِيهَا[٤].

ب- التَّشبيهُ اصطِلاحًا:

التَّشْبِيهُ عِنْدَ البَلاغِيِّينَ: هُوَ الدَّلالَةُ علَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فِي مَعنًى بِإِحدَى أدَوَاتِ التَّشْبِيهِ لَفْظًا أَو تَقْدِيرًا[٥]. وَقَدِ اشتَرَطَ البلاغِيُّونَ أَنْ يَكُونَ المعنَى المُشتَرَكِ بينَ المشبَّهِ والمشبَّهِ بِهِ أُظهَرَ فِي المُشَبَّهِ بِهِ.

ج- أركانُ التشبيهِ:

أركان التشبيهِ أربعةٌ، طرفاه يعني (المشبَّه والمشبَّه به) وأداته كالكَافِ وكأنَّ ومِثْل وشِبْه ونحوها، ووجهه وهو ما يشتركان فيه تحقيقًا أو تخييلًا، أي وجه التشبيه ما يشتركُ الطَّرفانِ فيه بحكم التَّشبيه فيؤول المعنى إلى ما دلَّ على اشتراكهما فيه، فلا يرد نحو ما أشبهه بالأسد للجبان لأنَّ الشجاعة ليست مشتركةً بينهما مع أنَّها وجه التشبيه للدلالة على مشاركتهما فيهَا ولا يلزم أن يكون من وجوه التشبيه في زيد كالأسد الوجود والجسميَّة والحيوانيَّة[٦].

٢ الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين (بيروت: دار الهلال، ١٤٢٣)، الجزء الثاني ١٢.
٣ البستي، عياض بن موسى. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ط١ (المكتبة العتيقة، د.ت.)، الجزء الثاني ٢٤٣.
٤ الإفريقيّ، ابن منظور. لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤)، الجزء الثالث عشر ٥٠٤.
٥ العَاكوب، عيسى علي. المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع) (مطبوعات جامعة حلب، ٢٠٠٥)، ٣٥٥.
٦ التهانوي، محمد بن علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق. رفيق تحقيق دحروج، علي مراجعة عجم، ط١ (بيروت: لبنان ناشرون، ١٩٩٦)، الجزء الاول ٤٣٥.

وَلِشَرح الأركانِ نقدِّمُ مِثالًا توضِيحيًّا، فقولُكَ: وجهُهُ كالقَمَرِ ضِيَاءً، ففي هذا التشبيه لَدينَا المشبَّهُ (وجهه)، ولدينا المشبه به (القمر)، ولدينا الأدَاة (الكاف)، ولدينَا الوجهُ (الضياء). وللتَّشبيه أنواعٌ كثيرَةٌ ليسَ هنَا موضِع القولِ فِيهَا.

ثانيًا- التَّشبيهُ وجماليَّاتهُ في خطبِ الرسول الأعظم ﷺ:

ننتقلُ الآن للحدِيثِ عنْ صُلبِ الموضُوعِ، وهُوَ التَّشبيهُ وتوظِيفُهُ فِي خطبِ النبيِّ ﷺ، وقدْ وجدْنَا أَنواعَ التَّشبِيهِ الآتِيَة فِي خطبِهِ:

أ- التَّشبِيهُ تامُّ الأركَانِ:

يُقصد بالتشبيه تامّ الأركان ما ذكِرت جميعُ أركانِهِ السابقَةِ فلمْ يتعرَّضْ شيءٌ منهَا للحَذْفِ، وَقَدْ ورَدَ هَذَا النَّوعُ فِي خطبِ **الرَّسول الأعظم** ﷺ، ومنْهُ قَولُهُ: "قد بيَّن لكم الحلال والحرام؛ غير أنَّ بينهما شبهًا من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلَّا من عصم؛ فمن تركها حفظ عرضه ودينه، **ومن وقع فيها كان كالراعي إلى جنب الحمى أوشك أن يقع فيه**"[٧]

فَقَدْ توافرت في هذا التشبيه جميع أركانِهِ من مشبَّهٍ، وهوَ المقتربُ من الأُمورِ المشتبهةِ بينَ الحلالِ والحَرَامِ، ومن مشبَّهٍ بِهِ وهوَ الرَّاعي، وأَدَاة، وهِيَ الكَافُ، ووجه شبهٍ، وهُوَ الاقترابُ منْ شيءٍ دونَ ضَمانٍ للوقُوعِ فِيهِ. وإنَّ النَّاظِرَ إلى حسنِ هَذَا التشبيهِ يجدُ مدى توظيفِهِ في إظهَارِ المعنَى والتَّنفِيرِ منهُ، ونراهُ وَسيلَةً إقنَاعِيةً لا تُنكَرُ، إذْ لَمَّا بيّن الحلالَ والحرامَ، ثُمَّ أثبتَ أَنَّ بينهمَا أمورًا تتأرجحُ بينَ كونِهَا حلالًا وكونِهَا حَرَامًا، ونفَّرَ منَ الاقترَابِ منهَا، جَاءَ بالتَّشبيهِ لِيَكونَ كالحجَّةِ الدَّامِغَةِ والمُسَوِّغِ العقلِيِّ المقنعِ للتَّنفِيرِ منهَا، فَمَا مَثَلُ من يقتربُ منَ الأُمُورِ المشتَبِهَةِ إلَّا مَثَلُ رَاعِي غنمٍ أَو إبلٍ يقتَرِبُ منْ أَرضٍ مزروعَةٍ لِيرعى قربَهَا وَهُوَ يقُولُ: لَنْ أَرتعَ فيهَا هلْ يضمنُ هَذَا الرَّاعِي أَن يغفلَ للحظَةٍ فَإِذَا بِهِ داخلَ تلكَ الحمى؟ وكَذلكَ المقتَرب منَ المشتَبهَاتِ لا يأمنُ أَن يرتَعَ فِي الحرامِ، وبذَلِكَ يقتنعُ السَّامعُ بِوجوبِ الابتعادِ عنْ تلكَ الأمورِ تجنُّبًا لتجَاوزهَا إلى المحظُورِ.

ومنْ ورود هذا النوعِ من التشبيهِ فِي خطبِ الرَّسولِ الأَعظَمِ ﷺ قولُهُ فِي توصِيفِ حالِنَا نحنُ البشرِ فِي تعامُلِنَا مَعَ الأَمواتِ، حَيثُ يقولُ: "نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَ نَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَ وَاعِظَةٍ وَ رُمِينَا بِكُلِّ فَادِحٍ وَ جَائِحَة"[٨].

٧ صفوت، أحمد زكي. جمهرةُ خطبِ العربِ في العصورِ الزَّاهرة، ط١ (بيروت – لبنان: المكتبة العلمية، ١٩٣٣)، الجزء الاول ١٥٠.
٨ صفوت، الجزء الاول ١٥٣.

فالرسولُ ﷺ يصفُ هنا حالَنَا معَ موتَانَا، فالمشبَّهُ الضَّمِيرُ المفهومُ منْ قَولِهِ (نبوّئُ، ونأكُلُ)، والمشبَّهُ بِهِ (مخلَّدُونَ)، والأَدَاةُ (كأنَّ)، والوجهُ عدَمُ الاتِّعَاظِ بالموتِ، لِأَنَّ الإِنسَانَ إِذَا ظَنَّ أَنَّ الموتَ لن ينالَ منهُ لَم يتَّعِظْ بِموتِ غيرِهِ، وكَذَلِكَ حالُنَا معَ موتَانَا إِذْ ندفِنهُمْ، ونأكُلُ تُرَاثَهُمْ ونقتَسِمُهُ بينَنَا غيرَ مُبَالِينَ بِالمَوتِ الَّذِي أفناهُمْ وسيلحِقنَا بِهِم طَالَ زمنُ ذَلِكَ أَم قَصُرَ، والملحوظُ فِي جمَالِيَّاتِ هَذَا التَّشبيهِ أَنَّ المشبَّهَ بِهِ كَانَ وصفًا مشتقًّا (مخلَّدُونَ)، وهَذَا قلِيلٌ فِي الكلامِ إِذ المعهُودُ التَّشبيهُ بِالذَّوَاتِ أَو المعَانِي، فَلَا يعهَدُ فلانٌ كالضَّارِبِ، أَو كَالهَارِبِ مثَلًا، ولَكِنَّ التَّشبيهَ بمشتَقٍّ فِي الحَدِيثِ حَسُنَ كُلَّ الحسْنِ ونزَلَ فِي مكَانِهِ منَ الخطبَةِ نزولَ اللَّبِنَةِ المحكَمَةِ فِي الجِدَارِ إِذْ وَضَّحَ مبَالَغَةَ النَّاسِ بِعَدَمِ الاكترَاثِ بِالموتِ والاتعاظِ بِفقدِ الأَقَارِبِ، حتَّى قاربُوا أَو أشبهُوا منْ صِفتُهُ الخلُودُ، وَهُوَ وإِن لَمْ يَكنْ موجُودًا فَقَدْ حَسُن التَّشبيهُ بِهِ زِيَادَةً فِي أَمْرِ المخاطَبِينَ إِذْ نَزَّلُوا أَنفسَهُمْ منزِلةً لا يتوقَّعُهَا عاقِلٌ، ولَيستْ بالإِمكَانِ، ولِذَلِكَ عَدَّ يحيى الطَّالِبِيُّ هَذَا التَّشبِيهَ من التشبيهَاتِ المفرَدَة للمُصطَفَى ﷺ.

وَمنْ هَذَا النَّوعِ منَ التشبيهِ نوعٌ يتعَدَّدُ فِيهِ المشبَّهُ والمُشَبَّهُ بِهِ، فَيشبِّهُ شيئَينِ بِشَيئَينِ فِي تشبيهٍ وَاحِدٍ، ومنْ ذَلِكَ قَولُ الرسول ﷺ، فِي خطبَته يومَ أُحُدٍ: **"والمؤمنُ منَ المؤمنِينَ كالرَّأسِ من الجسدِ، إذا اشتكى تدَاعَى إِلَيه سائر جسدِهِ"**[٩] [١٠].

فمقَامُ الخطبَةِ غزوةُ أُحدٍ، والرسول ﷺ عالِمٌ بِهولِ مَا سيحدُثُ، لِذَلِكَ أَرَادَ أَن يوصِيَ المؤمنِينَ بالتَّماسُكِ والتلاحم، وأَن ينصُرَ أَحُدُهم الآخرِينَ، وأَن يُسرِعَ إِلَى نجدَتِهِمْ، وَأَرَادَ أَن يُصِرَّ علَى اللُّحمَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي يجبُ أَن تكُونَ موجُودَةً عِنْدَ المؤمِنِينَ فِي أوقَاتِ الشِّدَّةِ، فاختَارَ أَقوى تَشبِيهٍ لِحالَةِ التَّلاحُمِ، والنُّصْرَةِ، وهِيَ علاقَةُ بعضِ أَعضَاءِ الجَسَدِ بِبَعضِهَا الآخَرِ، واقتَضَى المَقَامُ تَعَدُّدَ المُشَبَّهِ والمُشَبَّهِ بِهِ، وَهَذَا النَّوع من أنواعِ التَّشبِيهِ المُرَكَّبِ[١١]، وتشبيهُ شيئَين بِشيئَين منْ أَنواعِ التَّشبِيهِ العَزِيزَةِ الَّتِي تحسُنُ، ولنصغِ بِشَيءٍ منَ التَّركِيزِ إِلَى ابنِ حجَّةَ الحمويِّ يحدِّثنا عنْ هذا النَّوعِ فيقُولُ:" هذ النوعُ، أعني تَشبيهَ شيئينِ بشيئَينِ، مِن المحاسِنِ العزيزَةِ الوقُوع، بخلافِ كَبيرةِ العَددِ في التَّشبيهِ، فَإِنَّ ذَلك نَوعٌ اللَّف والنشر أحقُّ بِه، وهُو فِي الاصطِلاحِ، أَن يُقَابِلَ الشَّاعر بَينَ الأربَعَة ويلتزم أنَّ كلَّ واحِدٍ منَ المشبَّه يسدُّ مسدَّ المشبَّه بِهِ.

٩ الطالبيِّ، يحيى. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣)، ج١/ ١٤٩.
١٠ الجُرجَاني، عبد القاهر. أسرار البلاغَة، تحقيق. عبد الحميد تحقيق هنداوي، ط١ (بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠١)، ١٩٢.
١١ الطالبِيِّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الجزء الاول ١٤٩.

وممَّا حُكِيَ عَن بشَّار بنِ بردٍ أَنَّه قَالَ: مَا زِلتُ، مُنذُ سَمعتُ قَولَ امرِئ القَيسِ في وصْفِ العُقَابِ[١٢] [١٣] [١٤]:

كأنَّ قلوبَ الطَّير رَطبًا ويَابسًا لدى وكرِهَا العنَّابُ والحشَفُ البَالي

لا يأخذُني الهجُوعُ حَسدًا لَهُ، إِلَى أَن قلتُ في وصفِ الحربِ[١٥] [١٦] [١٧] [١٨] [١٩] [٢٠]:

كأنَّ مثارَ النَّقعِ فَوقَ رؤوسنَا وأَسيافَنَا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ[٢١]

والمرادُ أَنَّهُ نوعٌ عزِيزٌ منَ التَّشبِيهِ يحسُنُ موقِعُهُ، ويجمُلُ رونقهُ، ولنعدِ الآنَ للحدِيثِ عنْ جَمَالِيَّتِهِ فِي خطبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فقد جَعَلَ المشبَّهَ شيئينِ همَا المُؤمنُ الفَرْدُ، والمُؤمنُونَ المجتَمِعُونَ، وكَذَلِكَ جَعَلَ المُشَبَّهَ بِهِ شَيئَينِ همَا الرَّأسُ وسَائِرُ الجَسَدِ، والأَدَاةُ الكَافُ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ، ووجهُ الشَّبَهِ هوَ مَا فَسَّرَ بِهِ جهة المشابَهةِ منْ التَّدَاعِي عندَ الحَاجَةِ، والتَّشبِيهُ طبَّقَ مفصِلَ البلاغَةِ كَمَا تَقُولُ العَرَبُ، فالرسول ﷺ يخشَى والمَقَامُ مَقَامُ حربٍ ضَروسٍ أَن ينسَى الفَرْدُ منَ المؤمنِينَ إخوته منشَغلًا بنفسهِ، فأرادَ أَن يوجِّهَ رسَالةً مفادهَا أَنَّ المصيبَةَ إِذا وقعتْ فسيتأَثَّرُ بِهَا الجميعُ، كَمَا أَنَّ الرَّأسَ إِذا أُصِيبَ لَم يكنْ للجَسَدِ قِيمَةٌ، وكَذَلِكَ إِذَا أُصِيبَ البَدَنُ لَمْ يبقَ للرَّأسِ قِيمَةٌ فَهُوَ يفكِّرُ وَلَا يجدُ أَعضَاءً تعينه على تنفيذِ مَا يفكِّرُ بِهِ، ثُمَّ انظر إِلى موقِعِ التَّشبيهِ منْ غيرِهِ منَ العنَاصِرِ اللُّغوِيَّةِ فِي هَذَا الحَدِيثِ، فَقد اختَارَ أَدَاةَ الشَّرْطِ (إِذَا) دونَ غَيرِهَا، وَهِيَ أَدَاةٌ يؤتَى بِهَا إِذَا كَانَ الشَّرْطُ متوقَّعًا حصُولُهُ لَا محتَمِلًا أَو مشكُوكًا بِهِ كَـ(إِنْ)، وكَانَ سيبَوَيهِ (تـ ١٨٠ هـ) قَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ قَائِلًا: "... **ألا ترى أَنَّك لو قلت: آتيكَ إذا احمرَّ البسرُ كان حسناً ولو قلت: آتيك إن احمرّ البسرُ كان قبيحاً**"[٢٢]. وتكونُ أَيضًا لمعنَى التَّكرَارِ، وهُوَ فِي هَذِهِ الخطبَةِ أَولَى فَكأَنَّهُ يُريدُ أَن يوصِي

١٢ امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨)، ٣٨.
١٣ السبكي، بهاء الدِّين .عروس الأفراح، تحقيق. عبد الحميد هنداوي، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣)، ج١/ ٥٧٣.
١٤ الميداني، عبد الرحمن حبنَّكة. البلاغة العربية، أسسها وعلومها، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٩٩٦)، ج٢/ ٢٠٠.
١٥ بن برد، بشار. ديوان بشار بن برد، تحقيق. محمد الطاهر نشر وشرح بن عاشور، ط١ (لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٧)، ج١/ ٣١٨.
١٦ العسكريّ، أبو هلال. الصّنَاعَتَين، تحقيق. محمد أبو الفضل تحقيق إبراهيم (بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩)، ٢٥٠.
١٧ الجرجانَي، عبد القاهر. أسرار البلاغة، د.ط. (جدة: دار المدني، د.ت)، ١٧٤١٩٨.
١٨ الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، د.ط. (قم: مطبعة الامير، ١٩٧٨)، ٩٦-٤١١-٥٣٦-٦٠٢.
١٩ الخَطِيبُ القزوينيُّ، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق. الخطيب القزويني، ط٣(بيروت: دار الجيل، د.ت.)، ج٤/ ٥٠.
٢٠ السَّكَّاكِيُّ، أبو يعقوب .مفتاح العلوم، تحقيق. نعيم زرزور، ط٢ (دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ٤٤٤-٤٦١.
٢١ الحموي، ابن حجَّة. خزانة الأدب، تحقيق. عصام تحقيق شعيو، ط١ (بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٤)، ج١/ ٤١٥.
٢٢ سيبويه، الكتاب، قراه وعلق عليه. عبد السلام محمد قرأه وعلق عليه هارون، ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨)، ج٣/ ٦٠.

المؤمنينَ بأن تكُونَ هَذِهِ سجِيَّتَهُمْ كلَّمَا ألَمَّ خطبٌ بِفَردٍ منهُمْ، لَا فِي هَذِهِ المعرَكَةِ فقطْ، وهَذَا منَ الاختِياراتِ البَدِيعَةِ، ثُمَّ انظرْ إلى صِيغَةِ (تَدَاعَى)، مَعَ إِيحَائِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَشَارُكِ جَمِيعِ الأَعْضَاءِ فِي هَذَا الاهتِمَامِ، والمُسَاعَدَةِ، وَهَذَا المَدُّ الصَّوتِيُّ فِيهَا يَدُلُّ عَلَى بُلُوغِ التَّدَاعِي المَدَى الأَقْصَى، وكَأَنَّهُ يَمُدُّ صَوتَهُ لِيَصِلَ إِلَى الدَّرَجَةِ المُمْكِنَةِ منَ التَّدَاعِي، وهِيَ صِيغَةُ مشاركَةٍ فكأنَّ بعضَ الأفرادِ يدعونَ بعضَهُمُ الآخَر للإغاثَةِ، وهَذَا حالُ المجتَمَعِ الإِيمَانِيِّ الَّذِي يُرِيدُهُ لنَا الرسول ﷺ.

ومنْ أَنوَاعِ التَّشبِيهِ تامِّ الأَركَانِ فِي خطَبِ الرسول صَلَّى اللهُ علَيهِ وآلِهِ وسَلَّمَ، قَولُهُ فِي خطبَةٍ وعظِيَّةٍ: "ألا إنَّ الدُّنيا خضرةٌ حلوةٌ، ألا وإنَّ الله مستخلفكُمْ فيها فناظِرٌ كَيف تعملُونَ، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النساء، ألا لا يمنعنَّ رجُلًا مخافةُ النَّاس أَن يقولَ الحقَّ إذَا علمَهُ. ولم يزل يخطُبُ حتَّى لم يبقَ من الشَّمس إلَّا حمرة على أطرافِ السَّعف فقَالَ: **إنَّه لم يبقَ منَ الدُّنيا فيما مَضَى إلَّا كما بقي من يومكُم هذا فيما مضى**"[٢٣].

فإنَّ شرحَ أَركَانِ هَذَا التَّشبيهِ يَكونُ كالآتِي: المشبَّهُ: مَا بَقِيَ منْ عُمُرِ الدُّنيَا، والمُشَبَّهُ بِهِ مَا بقيَ من عُمُرِ النَّهَارِ، والأَدَاةُ هِيَ الكَافُ، وَالوجهُ القِصَرُ المفهُومُ منَ القَرِينَةِ المُشَاهَدَةِ، والقِصَرُ وإن لَمْ يَكنْ مذكُورًا فَهوَ موجُودٌ مشاهَدٌ للرَّاوِي الَّذِي يروي الحدِيثَ فَالتَّشبِيهُ فِي مقَامِهِ تامُّ الأركَانِ، وَتبدُو قوَّتُهُ وبلاغَة تأثِيرِهِ منْ أَكثرَ منْ جِهَةٍ، أَوَّلُهَا قُوَّةُ ارتبَاطِ التَّشبيهِ بغيرِهِ منَ العنَاصِرِ اللُّغوِيَّةِ فِي الخطبَةِ، فمنْ قَولِهِ إِنَّهُ لَمْ يبقَ إِلَى آخِرِ الخطبَةِ كأَنَّهُ جملةٌ وَاحِدَةٌ متَمَاسِكَةٌ يفضِي بعضُهَا إِلى بعضٍ ويُبنَى بعضُهَا عَلَى بَعضٍ، وَلَعمرِي إِنَّ هَذَا التَّمَاسُكَ بينَ التَّشبِيهِ وَمَا حَولَهُ لَيذكِّرُنِي بِقَولِ الجَاحِظِ فِي أَجودِ الكلامِ، أَو الشِّعرِ حَيثُ يقُولُ: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أَنَّه قد أُفرغ إفراغًا واحدًا، وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللِّسانِ كما يجْري الدِّهان[٢٤].

وهَذِهِ الخطبَةُ الَّتِي نتحدَّثُ عنهَا كَذَلِكَ، ولَا سِيَّمَا مَا ارتبَطَ بِالتَّشبِيهِ منهَا، فَهُوَ كَلامٌ لذَّ سماعُه، وخفَّ محتملُه، وقرب فهمُهُ، وعذبَ النطقُ به، وحليَ فِي قَلبِ سَامعِهِ [٢٥]

٢٣ صفوت، جمهرةُ خطب العرب في العصورِ الزَّاهرة، ج١/ ١٥١.
٢٤ الجاحظ، البيان والتبيين، ج١/ ٧٥.
٢٥ ابن رشيق القيرواني، العمدة،تحقيق. عبد الواحد شعلان، ط١ (القاهرة، ١٩٩٩)، ج١/ ٤٦٤.

ثُمَّ إِنَّ التَّشبِيهَ صُورَةٌ مشَاهَدَةٌ للمخَاطبِ فَهُوَ يرَى انقِضَاءَ النَّهَارِ إِلَّا أقلَّهُ، ويشَاهِدُ اقتِرَابَ اللَّيلِ، ثُمَّ يقالُ لَهُ: هَذَا الَّذِي تشاهِدُهُ هوَ حالُ الدُّنيَا والآخِرَةِ، فَقَدْ أَوشَكَتِ الدُّنيَا علَى الانقِضَاءِ، وأَوشَكَتِ الآخِرَةُ عَلَى الهبُوطِ، وَلَا ننسَى المعانِي المختَبِئَةَ وَرَاءَ التَّشبِيهِ، من أَنَّ الدنيَا الَّتِي شُبِّهَتْ بالنَّهَارِ المنقَضِي فِيهَا العَمَلُ والسَّعِيُ والابتِغَاءُ، والآخِرَةُ الهَابِطَةُ هبُوطَ اللَّيلِ لَا يعلمُ منهَا إِلَّا سُكُونٌ، وهَذَا السكُونُ إِمَّا فِي جنَّةٍ، وإِمَّا فِي نَارٍ والعِيَاذُ بِالله، وهَكَذَا نَهَضَ التَّشبِيهُ بِمَعانٍ جَلِيلَةٍ فِي هَذِهِ الخطبَةِ، ولَا سِيَّمَا أَنَّ الصُّورَةَ وَاقِعِيَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ تحصُلُ أَمَامَ المخاطَبِ وتَتَكَرَّرُ، فَكَأَنَّهُ يُرِيدُ أَن يُشِيرَ إِلَى ضَرُورةِ تَذَكُّرِ قُربِ أُفُولِ الدُّنيَا كلَّمَا شَاهَدنَا غُرُوبَ الشَّمسِ، فالصُّورَةُ ذَاتُهَا، فَهلْ منْ مُدَّكِرٍ.

وَمنَ التَّشبِيهِ تامِّ الأَركَانِ فِي خُطَبِ الرسول ﷺ، قَولُهُ فِي الوَعظِ: "**وَكَأَنَّ الَّذِينَ نُشَيِّعُ مِنَ الْمَوْتَى سَفْرٌ عمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ**"[٢٦].

فالمشبَّهُ هُوَ الموتَى والمشبَّهُ بِهِ: السَّفْرُ، وهُوَ القَومُ المسَافِرُونَ، كَقَولِكَ: الشَّرْبُ القَومُ الشَّارِبُونَ أَيْ جمع شَارب، والسَّفْرُ جمع مسَافِر*[٢٧]، وَوَجه الشَّبَهِ (الرُّجُوعُ بَعْدَ قَلِيلٍ)، فَالتَّشبِيهُ مستَوفٍ أَركَانَهُ، مستَجمِعٌ عنَاصِرَهُ، وَهُوَ جزءٌ منْ ثَلاثَةِ تشبِيهَاتٍ غَابَ عنِ الاثنَينِ الآخَرينِ وَجهُ الشَّبَهِ، فَكَانَا منَ التَّشبِيهِ المجمَلِ، وَفِيمَا يأتِي حَدِيثٌ عنهُمَا، وَتعلِيقٌ عنْ تضَافُرِ جمِيعِ عنَاصِرِ الخطبَةِ فِي إِشَادَةِ المعنَى العامِّ للخُطبَةِ.

ب- التَّشبِيهُ المُجْمَلُ:

وهو ما حُذف منه وجهُ الشبهِ، كأنْ نقول: هذا الرجلُ كالأسد، ونقول: العلماءُ كالنجوم، ونقول: وجهٌ كالبدرِ، ونقول: شعرٌ كالليل، وخدٌ كالورد، ونقول: رجلٌ كالأسد، وقد يكون دقيقًا خفيًّا يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمُّل، وعندئذٍ يجب أن يذكر في العبارة ما يومئ إلى وجه شبه المحذوف، ويدلُّ عليه، لكنْ طالما حذف وجه الشبه، فيسمَّى هذا التشبيه بالتَّشبيهِ المُجْمَلِ[٢٨].

وَمِنَ التشبِيهِ المُجْمَلِ فِي خطبِ **الرَّسُولِ الأعظَمِ** ﷺ قَولُهُ من خطبَةٍ وَعظِيَّةٍ: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، طُوبَى لِمَنْ**

---

٢٦ صفوت، جمهرةُ خطب العرب في العصور الزَّاهرة، ج/ ١٥٣.

٢٧ الفيومي، المصباح المنير، ط١ (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.)، ج١/ ٢٧٨.

٢٨ العاكوب، المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع)، ١٥٩.

* وردَ في المصباح المنير: سَفَرَ الرَّجُلُ سَفْرًا منْ بَابِ ضَرَبَ فَهُوَ سَافِرٌ وَالْجَمْعُ سَفْرٌ مِثْلُ: رَاكِب وَرَكْب وَصَاحِب وَصَحْب وَهُوَ مَصْدَرٌ فِي الْأَصْلِ وَالِاسْمُ السَّفَرُ بِفَتْحَتَيْنِ وَهُوَ قَطْعُ الْمَسَافَةِ يُقَالُ ذَلِكَ إذَا خَرَجَ لِلِارْتِحَالِ أَوْ لِقَصْدِ مَوْضِعٍ فَوْقَ مَسَافَةِ الْعَدْوَى لِأَنَّ الْعَرَبَ لَا يُسَمُّونَ مَسَافَةَ الْعَدْوَى سَفَرًا وَقَالَ بَعْضُ الْمُصَنِّفِينَ أَقَلُّ السَّفَرِ يَوْمٌ.

شَـغَلَهُ عَيْبُـهُ عَـنْ عُيُـوبِ النَّـاسِ، طُوبَـى لِمَـنْ تَوَاضَـعَ للهِ فِي غَـيْرِ مَنْقَصَـةٍ، وَأَنْفَـقَ مَـالًا جَمَعَـهُ فِي غَـيْرِ مَعْصِيَـةٍ"[٢٩]، ففـي هـذه الخطبـة مـن فنـونِ القـولِ مـا لَـو لَم يقـلْ صَاحِبُهَـا إِلَّاهَـا لَـكَانَ خَلِيقًـا بِـأن يَتَصَـدَّرَ عـلى عـرشِ البيـانِ، فكيـفَ وَقـد كَانَ جُـلُّ كلامِـهِ كالـدُّرِّ المكنُـونِ، والسِّـحرِ الحـلالِ لَا تَـكَادُ تخـرُجُ فِيـهِ مـنْ مَعنًـى لَطِيـفٍ حتَّـى تفـضِيَ إِلَى سِرٍّ بَدِيـعٍ، وَقَـدْ نـزلَ التشـبيهُ المجمـلُ فِي هَـذه الخطبَـةِ منـزِلًا حسـنًا مـنْ جِنسِ الخطبَـةِ، وإِلَيـكَ تفصيـل القَـولِ فِي ذَلِـكَ: أَرَادَ تشـبِيهَ المخَاطَبِـينَ بَمَـنْ لَمْ يكتَـبْ علَيـهِ المـوتُ، فلجَـأَ إِلَى تغيـيرٍ فِي الصِيغَـةِ فَقَـالَ: كأنَّ المـوتَ عـلَى غَيرِنَـا كُتِـبَ، أَيْ لَّـا لَمْ نعمَـلْ وَلَمْ نجتَهِـدْ فِي الاسـتِعدَادِ للمـوتِ، ولَـن نتعـظْ عـنِ المَعَـاصِي أَشـبَهنَا مـنْ لَمْ يُكتَـبْ علَيـهِ المـوتُ، وَوَجـهُ الشَّـبَهِ فِي التشـبيهِ محـذُوفٌ، وَهُـوَ عَـدَمُ المبَـالَاةِ بِالمـوتِ، وَعَـدَمُ الاسـتِعدَادِ لَـهُ، وَعَـدَمُ الاتعـاظِ عـنِ المعَـاصِي.

وَكَذَلِـكَ يُقَـالُ فِي التَّشـبِيهِ الثَّـانِي: كأَنَّ الحـقَّ عـلَى غيرِنَـا وَجَـبَ، فإِنَّ المُـرَادَ تشبيه المخَاطَبِـينَ بِأَقوَامٍ لَمْ يُكتَـبْ علَيهِـمْ شَيءٌ مـنَ الحَـقِّ، والوَاجِـبِ، ولَكِنَّـهُ عَـدَلَ إِلَى طَرِيقَـةِ تعبِيرٍ أُخـرَى، وَهِـيَ: كأنَّ الحَـقَّ عـلَى غيرِنَـا وَجَـبَ، وَفِي كِلَا التَّشـبِيهَينِ ذِكْـرٌ لِـكُلٍّ مـنَ الطَّرَفِـينِ، أي المشـبَّه، والمشـبَّه بِـهِ، فَالمشـبَّهُ (الضَّمِـيرُ الـدَّالُّ عـلَى المتكَلِّـم)، والمُشَـبَّهُ بِـهِ (غَيرُنَـا)، والأدَاةُ كأَنَّـا، والوَجـهُ محـذُوفٌ لِأَنَّـهُ معلُـومٌ مِـنَ السِّـيَاقِ، وهُـوَ عَـدَمُ الاكـتِرَاثِ، وَعَـدَمُ الاسـتِعدَادِ للمـوتِ وعَـدَم الانتِهَـاءِ عـنِ المَعَـاصِي، وَقَـدْ جعَـلَ النبـيُّ ﷺ هَـذَا التَّشـبِيهَ سَـبِيلًا لِحُسْـنِ التَّخَلُّـصِ، وَقَـدْ عـبَّرَ عـنْ ذَلِـكَ يحيـى الطَّالِبِـيُّ حَيـثُ قَـالَ فِي التَّعلِيـقِ عـلَى هَـذِهِ الخطبَـةِ مستَحسِـنًا حسـنَ التَّخلُّـصِ* [٣٠] فِيهَـا: "فَبَينَـا هُـوَ يَذكُـرُ المـوتَ وأهوَالَـه وإِعـراضَ الخَلقِ عَـن ذكـرِه إِذْ خَـرجَ إِلَى ذكـرِ النَّـدبِ إِلَى اشـتِغالِ الإِنسـانِ بِعيـبِ نَفسِـهِ، وَ إِهمـالِ عيـوبِ الخَلـقِ، فهـذَا مـنَ المخَالـصِ البَديعَـةِ إِلَى غَـيرِ ذلـكَ فِي كلامِـهِ ﷺ"[٣١].

---

٢٩ صفوت، جمهرةُ خطب العرب في العصور الزَّاهرة، ج١/ ١٥٣.

٣٠ الحموي، خزانة الأدبَ، ج٢/ ٣٩٩.

٣١ الطالبيِّ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج٢/ ١٧.

*حُسْنُ التَّخَلُّص هُوَ أَنْ يَسْتَطْرِدَ الشَّاعِرُ الْمُتَمَكِّنُ مِنْ مَعْنًى، إِلَى مَعْنًى آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِمَمْدُوْحِه، بِتَخَلُّص سَهْل، يَخْتَلِسُهُ اخْتِلَاساً رَشِيْقاً دَقِيْقَ الْمَعْنَى؛ بِحَيْثُ لَا يَشْعُرُ السَّامِعُ بِالانْتِقَالِ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّل، إِلَّا وَقَدْ وَقَعَ فِي الثَّانِي؛ لِشِدَّةِ الْمُمَازَجَةِ وَالالْتِئَام بَيْنَهُمَا، حَتَّى كَأَنَّهُمَا أُفْرِغَا فِي قَالَبٍ وَاحِد، وَلَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَتَعَيَّنَ مِنْ نَسِيْب، أَوْ غَزَل، أَوْ فَخْر، أَوْ وَصْف لِرَوْض، أَوْ وَصْف لِطَلَل أَوْ رَبْع خَال، أَوْ مَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي؛ يُؤَدِّيْ إِلَى مَدْحٍ، أَوْ هَجْوٍ، أَوْ وَصْفِ حَرْبٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَلَكِنِ الْأَحْسَنُ أَنْ يَتَخَلَّصَ الشَّاعِرُ مِنَ الْغَزَلِ إِلَى الْمَدْحِ.

والملحَـظُ الأُسـلوبِيُّ البـارزُ فِي الخطبَـةِ اسـتِعمَالُ أَلفَـاظِ العُمـومِ، فلـو تأمَّلـتَ الخطبَـةَ سـطرًا سَـطرًا، وجملَـةً جملَـةً فَإِنَّـكَ غـيرُ وَاجِـدٍ فِيهَـا تَصرِيحًـا باسْـمٍ، ولَا تلمِيحًـا لِأَحـدٍ، ولَا تعرِيضًـا بِإِنسَـانٍ، بـلْ هِـيَ محـضُ حَديـثٍ عـامٍّ، واللَّافِـتُ أَيضًـا أَنَّ الرسـول ﷺ يَتحَـدَّثُ بِصِيغَـةِ المتكَلِّـمِ لِيَعـمَّ الحَدِيـثُ الجمِيـعَ، فَكَأَنَّـهُ يَقـولُ لَا مستَثنًى مـنْ هَـذَا الـكلامِ ولَا أَنَـا، وَقَـدِ اسـتَعمَلَ التَّشـبِيهَ جـزءًا مـن ألفَـاظِ العُمُـومِ، فَـكَانَ لَبِنَـةً محكَمَـةً فِي جِـدَارِ النَّـصِّ المتِينِ.

جـ ـ التَّشبِيهُ البلِيغُ:

التشبيه البليغ هُـوَ التَّشـبِيهُ الَّـذي لم تذكـر فيـه أَداةُ التَّشـبيهِ، ولا وَجـهُ الشَّـبهِ، فَهُـوَ المعقُـودُ فَقَـطْ مـنَ الطَّرَفَـينِ، أَيْ مـنْ مُشَـبَّهٍ، وَمُشَـبَّهٍ بِـهِ، وَمِنْـهُ قَـولُ الشَّـاعِرِ[٣٢] [٣٣] [٣٤] [٣٥] * .

النَّشْـرُ مِسْكٌ. والْوُجُوهُ دَنَا نِيرٌ وَأَطْرَافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

فِي هَـذا البَيـتِ ثلاثـةُ تشـبيهاتٍ هـي مـن التَّشـبيهِ البَليـغِ، إِذْ لم يُذكـرْ فِيهَـا أَدَاةُ التَّشـبيهِ وَلا وجْـهُ الشَّـبه. "ويـرَى البيانيُّـونَ أَنَّ التَّشـبيهَ البلِيـغَ يعتَمِـد عـلى المبالغَـةِ والإِغـراقِ فِي ادِّعَـاءِ أَنَّ المشـبَّه هُـوَ المشـبَّهُ بـه نَفْسُـه، لِذَلـكَ لا تُذْكَـرُ فيـهِ أَدَاةُ التَّشـبِيهِ، ولا وجْـهُ الشَّـبَهِ. ويـرَونَ أَنَّ التَّشـبيهَ البليـغَ ذُو مجَـالٍ وَاسِـعٍ لتَسـابقِ المُجِيديـن مـنَ الأَدبَـاءِ والشُّـعراءِ، وانتقَـاءِ روائِـع بديعَـة منـهُ"[٣٦].

وَمِمَّا ورَدَ من هذا النوعِ منَ التشبِيهِ فِي خُطَبِ **الرسُولِ الأعظَمِ** ﷺ قَولُهُ فِي التَّوجِيهِ: "إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ"[٣٧]، فَحملُ هَذَا الكَلامِ علَى حَقِيقَتِهِ مشكِلٌ لِأَنَّ الأُخوَّةَ غيرُ متَحقِّقَةٍ بيَن جمِيعِ المؤمِنِيَن، بَل المُرَادُ هُمُ كالإِخوَةِ فِي تعاونِهِمْ، وَتَوَاصُلِهِمْ، وَحمل بَعضِهِمْ لِبَعضٍ، فَحَذَفَ كُلًّا منَ الأَدَاةِ وَوَجهَ الشَّبَهِ، وَرَكَّبَ التشبِيهَ منْ طَرَفَينِ، مشبَّه (المؤمِنُونَ)، وَمشبَّهٌ بِهِ (إِخوَةٌ)، وَهَذَا أَبلَغُ فِي الأَدَاءِ إِذْ جَعَلَهُمْ إِخوَةً حَقِيقِيَّينَ، فَهمْ عَينُ الإِخوَةِ، وَلَا يخفَى علَى ذِي عقلٍ أَنَّ الرَّسُولَ الأَعظَمَ ﷺ قَدِ استَفادَ فِي هَذِهِ الجملةِ منَ القرآنِ الكَرِيمِ، فَقَدْ قَالَ عَزَّ منْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠)، وَمِمَّا

---

٣٢ تحقيق كارين.، ديوان المرقِّشَين، ط١ (بيروت: دار صادر، ١٩٩٨)، ٦٨.
٣٣ العسكريّ، الصّنَاعَتَين، ٢٤٩.
٣٤ أبو الفتح العباسي، معاهد التَّنصيص على شواهد التَّلخيص، تحقيق. محمد محيي الدِّين عبد الحميد (بيروت: عالم الكتب، د.ت.)، ج٢/ ٨١.
٣٥ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤).
٣٦ الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، ج٢ / ١٧٦.
٣٧ صفوت، جمهرةُ خطب العرب في العصور الزَّاهرة، ج١/ ١٥٧.
* ريح المرأة وأنفها وأعطافها بعدَ النّوم. والعَنَم: شجر ليِّنُ الأغصان لطيفُها يُشبَّه به البَنان: "كأنّه بَنان العَذارى".

يستَحسَنُ فِي التَّعلِيقِ علَى تَركِيبِ هَذِهِ الآيَةِ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي التَّعلِيقِ علَى الحَدِيثِ بِطَبِيعَةِ الحَالِ كلامُ ابْنِ عاشُورٍ فِي تفسِيرِهِ حَيثُ يَقُولُ: "... وَجِيءَ بِصِيغةِ القَصرِ المفيدَةِ لحصْرِ حالِهِمْ فِي حَالِ الأُخوَّة مبالغَةً فِي تَقرِيرِ هَذَا الحُكمِ بَينَ المسلمينَ، فهُوَ قصرٌ ادِّعائيٌّ أو هُوَ قَصرٌ إضافيٌّ للرَّدِّ علَى الَّذينَ يبغونَ علَى غَيرِهِمْ مِنَ المؤمِنينَ، **وأخبَرَ عَنهُمْ بِأنَّهم إخوَةٌ مجَازًا علَى وجْهِ التَّشبِيهِ البَليغِ زِيَادةً لتقرِيرِ مَعنَى الأخوَّةِ بَينهُمْ حتَّى لا يحقُّ أنْ يقرَنَ بحرفِ التَّشبيهِ المشعرِ بِضعفِ صِفَتِهِمْ عَن حقِيقةِ الأُخوَّةِ**. وهذِه الآية فيهَا دَلالَةٌ قويَّةٌ علَى تقرُّر وجُوبِ الأخوَّةِ بَينَ المسلِمينَ؛ لأنَّ شأنَ (إنَّما) أنْ تجيءَ لخبرٍ لا يجهَلُهُ المخَاطَبُ، ولَا يَدفَعُ صِحَّتَهُ أو لما ينزَّلُ منزِلَةَ ذَلِكَ.."[٣٨]. وَناهِيكَ بِهِ كلامًا عنْ بلاغَةِ هَذَا التَّركِيبِ.

د- التَّشبيهُ التمثِيليُّ:

يُعَدُّ التَّشبِيهُ التَّمثِيلِيّ مِنَ التَّشبيهاتِ التي تؤدِّي منَ المعانِي البلاغِيَّةِ الجَمَالِيَّة مَا هوَ منوطٌ بِهَا، وَمَا هِيَ أَهلٌ لَهُ، إِذْ هُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الصُّورَةِ بِالصُّورَةِ، وَقَدْ عَرَّفَهُ البلاغِيُّونَ بِأَنَّهُ: التَّشبِيهُ الَّذِي يَكونُ فيه وجهُ الشَّبهِ صُورةً منتزعةً مِن متعدِّدٍ، أَمرينِ أَو أُمُورٍ. هَذا هُو مَذهبُ جمهورِ البَلاغيِّينَ فِي تَعريفِهِ، ولا يَشترطُون فِيهِ غير تَركيبِ الصُّورةِ، سَواءٌ أَكانَتِ العَنَاصِرُ الَّتِي تتألَّفُ منهَا صُورتُهُ أو تركيبهُ حِسِّيَّةً أو معنويَّةً، وكلَّما كانَت عَناصرُ الصُّورةِ أو المركّب أكثرَ كَانَ التَّشبيهُ أبعَدَ وأبْلَغَ، وَمِنْ شَوَاهِدِهِ القرآنِيَّةِ البَدِيعَةِ قَولُهُ تعالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (الجمعة ٥)، وقَدْ علَّقَ علَيهِ ابنُ عاشُورٍ قَائِلًا: وهذَا التَّمثيلُ مقصُودٌ منهُ تَشنيعُ حَالِهِمْ، وهُو مِن تَشبِيه المعقُولِ بالمحسُوسِ المتعَارف، ولِذلكَ ذيَّلَ بذمِّ حالِهِمْ بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ الله"[٣٩]. فالغرضُ منْ تشبيههِمْ عرضُ صُورَتِهِمْ بأَنَّهُمْ حملُوا التَّورَاةَ ولَمْ ينتَفِعُوا بِهَا كمَا أَنَّ الحِمَارَ يحمِلُ كتبًا وَيُعانِي منْ حملِهَا، ويتعبُهُ حملُهَا، وَمعَ ذلكَ لَا يَجِدُ أَيَّ نفعٍ بحملِهَا.

وَمِنْ هَذَا الضَّرْبِ مِنَ التَّشْبِيهِ فِي خطَبِ **الرَّسُولِ الأعظمِ** ﷺ قَولُهُ فِي خطبَةٍ كانتِ الأُولَى لَهُ فِي مكَّةَ عندمَا دعَا قَومَهُ للإسلامِ: "إنَّ الرَّائدَ لا يكذبُ أهلَهُ، والله لَو كذَبْتُ النَّاسَ جَميعًا ما كذَبتكُم، ولو غَررْتُ النَّاسَ جَميعًا ما غَررتُكُمْ، والله الَّذِي لَا إله إلَّا هُوَ إنِّي لَرسُولُ الله إليكُمْ خَاصَّةً، وإلى النَّاسِ كافَّةً، **والله لتُموتُنَّ كَمَا تنَامُونَ، ولتُبعثُنَّ كَمَا تَستَيقظُونَ**، ولتحاسَبُنَّ

٣٨ بن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)، ج٢٦/ ٢٤٣.
٣٩ بن عاشور، ج٢٨/ ٢١٤.

بـما تعمَلـونَ، ولتُجـزَوُنَّ بالإحسَـانِ إحسَـانًا، وبِالسُّـوء سُـوءًا، وإنَّهـا لجنَّـةٌ أبـدًا، أو لنَـارٌ أَبـدًا"[٤٠].

التَّشـبيهُ التَّمثِيـلِيُّ معـرُوضٌ بِقَولِـهِ: (والله لتُموتُـنَّ كَـمَا تنَامُـونَ، ولتُبعثُـنَّ كَـمَا تَسـتَيقظُونَ)، وَالمرادُ منهُ تشبيهُ صورَةِ الموتِ بِصُـورَةِ النَّـوم، وَصُـورَةِ البعـثِ بِصُـورَةِ الاستِيقَاظِ، وَليسَ المرَادُ مجـرَّدَ تشبيهِ المـوتِ بِالنَّـومِ والبَعـث بالاسـتِيقَاظِ، إذْ لَـو كَانَ ذَلِـكَ المـراد لُـصرِّحَ بِـهِ، واختِيـرَتْ لَـهُ الصُّـورَةُ الَّتِي تنَاسِـبُهُ، ووجـهُ الشَّـبَهِ منتَـزَعٌ مـنْ عِـدَّةِ أُمُـورٍ هِـيَ في الأَوَّلِ محصَّلَـةٌ مـنْ مجمـوعِ سُـكونٍ يعـتَرِي الإنسَـانَ مَـعَ فقدَانِـهِ لِحَوَاسِّـهِ، وَعَـدَمِ علمِـهِ بِـمَا يجـرِي إلَيـهِ، وعكـسُ كلِّ وَاحِـدَةٍ مـنْ تِلْـكَ إذَا اجتَمَعَـتْ شَـكَّلَتْ وَجـهَ الشَّـبَهِ فِي التَّشـبِيهِ الثَّـانِي.

وَمـنْ جَمَالِيَّـاتِ هَـذَا التَّشـبِيهِ أَنَّـهُ شـكَّلَ ركنًـا مكينًـا مـنْ أَركَانِ العنَـاصِرِ اللُّغَوِيَّـةِ الَّتِي شـيَّدَتِ الخطبَـةُ بنيانَهَـا عليهَـا، وَذَلِـكَ أَنَّ مَقَـامَ الخطبَـةِ يقتَـضِي حَشْـدَ أَكـبَرِ قـدرٍ ممكـنٍ مـنَ المُؤكِّـدَاتِ؛ لِأَنَّ الموضُـوعَ المطـرُوحَ عـلَى القرشِـيِّينَ مظنَّـةُ إنـكَارٍ لَـهُ منهُـمْ، وَمظنَّـةُ عَـدَمِ قَبـولٍ لِفحـوَاهُ، والمنكِـرُ يُخَاطَـبُ بِالتَّرَاكِيـبِ المؤكَّـدةِ بأكثَـر مـنْ مؤكِّـدٍ وَذَلِـكَ لَيُـزَالَ مـنْ صَـدْرِهِ الإنـكَارُ، وكلَّـمَا كَانَ الإنـكَارُ أَشَـدَّ حسُـنَ التَّزيُّـدُ مـنَ المؤكِّـدَاتِ، وَهَـذَا مَـا فَعَلَـهُ **الرَّسُـولُ الأَعظَـمُ** ﷺ فِي هَـذِهِ الخطبَـةِ، حَيـثُ جَـاءَ بِالقَسَـمِ أَكثَـرَ مـنْ مـرَّةٍ، وهُـوَ مـنْ أَسَـاليبِ التَّوكِيـدِ، وَجَـاءَ بالقَسَـمِ متلُـوًّا بِـ(إنَّ) مَـعَ الجملَـةِ الإسـمِيَّةِ، وَهَـذِهِ أَقـصَى دَرَجَـة للتَّوكِيـدِ وَذَلِـكَ لَمَّـا أَعلَمَهُـمْ بِرِسَـالَتِهِ، وَهُـوَ مَـا يُتَوَقَّـعُ أَن يُنكِـرُوهُ، لِذَلِـكَ خَاطَبَهُـمْ بِـكُلِّ هَـذَا التَّوكِيـدِ، ولَمَّـا أَرَادَ أَن يُحَدِّثَهُـمْ عـنِ المـوتِ الَّـذِي يَعرِفُونَـهُ وَيُقِـرُّونَ بِـهِ، ولَا يتأَتَّـى لَهُـمْ أن يُنكِـرُوهُ، وأرَادَ ربطَـهُ بِالبَعـثِ والنُّشُـورِ، وَهُـوَ مَـا يتَوَقَّـعُ أن يُنكِـرُوهُ أَيَّـمَا إنـكَارٍ لَجَـأَ إِلَى أُسـلُوبِ التَّشـبِيهِ التَّمثِيـلِيِّ تقرِيبًـا للصُّـورَةِ مـنْ أَذهَانِهِـمْ، وَمحَاولَـةً لِإقنَاعِهِـمْ بِـشَيءٍ مـنْ خـلالِ البِنَـاءِ عـلَى مُشَـابِهٍ لَـهُ لَا يُنكِرُونَـهُ، وَهنَـا جَـاءَ التَّشـبِيهُ، فاختَـارَ تشـبيهَ المـوتِ بالنَّـومِ، وَهَـذَا لَا يُنكِرُونَـهُ بـلْ يُقِـرُّونَ بِـهِ؛ لِأَنَّ كلَّ وَاحِـدٍ منهُـمْ يَعـرِفُ هَـذِهِ الصُّـورَةَ وَيَعِيشُـهَا، ولَا يمكـنُ لَـهُ إنكَارُهَـا، وأَردَفَـهُ بِتَشْـبِيهِ البَعْـثِ بِالاسِـتِيقَاظِ، والبَعـثُ منكَـرٌ عندَهُـمْ، يجحدُونَـهُ ولَا يُقِـرُّونَ بِـهِ، وتشـبيهُهُ بالاسـتِيقَاظِ وسـيلَةُ إقنَـاعٍ مَـا بَعدَهَـا وَسِـيلَةٌ لُغَوِيَّـةٌ، إذ إنَّهُـمْ ينَامـونَ ثُـمَّ يسـتَيقِظُونَ، وَهَـذِهِ حالُهُـمْ جمِيعًـا، وَهـمْ سَـيَموتونَ كـمَا ينامـونَ فَلِـمَاذَا ينكِـرُونَ البَعـثَ أَي الاسـتِيقَاظَ بَعْـدَ المـوت؟ وكَأَنَّ الـكلامَ يحاجِجَهُـمْ فيقُـولُ لَهُـمْ: مـنْ

٤٠ صفوت، جمهرةُ خطبِ العربِ في العصورِ الزَّاهرة، ج١/ ١٤٧.

أَقَرَّ بِالنومِ والاستِيقَاظِ، والموتِ كان لزامًا علَيهِ أن يُقِرَّ بِالبعثِ لِأَنَّ الأمورَ مرتَبِطَةٌ متَشَابِهَةٌ، لَا مجَالَ لِإِثبَاتِ صُورَةٍ جزئِيَّةٍ منْهَا، بَل لَا بُدَّ مِنْ قَبُولِ الصُّورَةِ متكَامِلَةً.

ومِمَّا يحمَلُ علَى هَذَا النَّوعِ منَ التَّشبِيهِ أَيضًا قَولُ النبيِّ ﷺ فِي خطبَةِ حجَّةِ الوداعِ:" إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ... كَحُرْمَةِ يومكم هَذَا من شهركم هَذَا؛ فِي بلدكمْ هَذَا.."[٤١].

لَمَّا تجسَّدتْ فِي نفُوسِ المخَاطبِينَ صُورَةُ حرمَةِ اليَومِ والبَلَدِ الحَرَامِ والشَّهرِ الحَرَامِ حسُنَ أَن تشَبَّهَ صُورَةُ تحرِيمِ الدماءِ والأموالِ والأعرَاضِ بِصُورَةِ تحرِيمِ اليَومِ والشَّهرِ والبلدِ، فَالحرمةُ مضَاعَفَةٌ مغلَّظَةٌ لَا مكَانَ لاستِثنَاءٍ فِيهَا، والتَّشبِيهُ قَائِمٌ بَينَ صُورَةِ تحرِيمِ البلدِ والشَّهرِ واليَومِ وصُورَةِ تحرِيمِ الدِّمَاءِ والأَموالِ، والأعرَاضِ.

هـ- التَّشبيهُ المقلُوبُ:

لاحظَ البيانيُّونَ أنَّ عاقِدَ التَّشبيهِ قَدْ يخْلُو لَه أَحيانًا أن يجعلَ المشبَّهَ في كلامِهِ مشبَّهًا بِه، ويجعَلَ المشبَّه بِه مُشَبَّهًا، ليَدُلَّ بصنيعِهِ هَذَا علَى أَنَّ وجُود وجْهِ الشَّبَه في المشبَّه أقوَى وأظهرُ مِن وجُودِهِ في المشبَّهِ بِه. وقَد راقَ للبيانيِّينَ هَذا الفنّ، فوضَعُوا له اسْمَ "التشبيه المقلوب"[٤٢]. وَمِنَ التَّشبِيهِ المقلوبِ قَولُ البحتريِّ:

كَأَنَّ سَنَاهَا بِالْعَشِيّ لِصُبْحِهَا تَبَسُّمُ عِيسَى حِينَ يَلْفِظُ بِالْوَعْدِ

فقد قَلبَ التشبيه ليُشْعِرَ بأَنَّه يَرى تبسُّم ممدوحِهِ عيسَى أكثر ضياءً من برقِ السَّحابة الَّتِي استمرَّ يتلامع طَوالَ اللّيلِ، فتبسُّمه حينَ يلْفِظُ بالوعد ينبعثُ منهُ سَناً معنَويٌّ يسُرُّ القُلوبَ سُروراً لا يكون حين يتلامع سنا البرق[٤٣].

وَمِنْ مجيءِ هَذَا النَّوعِ فِي خطَبِ **الرَّسُولِ الأَعظَمِ** ﷺ قَولُهُ فِي خطبَةٍ: "إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، **وَحِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**، فَمَنْ رَتَعَ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ"[٤٤].

٤١ صفوت، ج١/ ١٥٦.
٤٢ الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها، ج٢/ ٢٠١.
٤٣ الميدانَي، ج٢/ ٢٠١.
٤٤ صفوت، جمهرةُ خطبِ العربِ في العصورِ الزَّاهرة، ج١/ ١٥٠.

فَـإِنَّ التَّشـبِيهَ المقلُـوبَ متجسِّـدٌ فِي قَولِـهِ ﷺ: وحمـى الله محارمـه، والأَصْـلُ أَن يشَـبِّهَ محَـارمَ الله أَي الأُمـور الَّتِي حرَّمَهَـا ونَهَـى عنهَـا بِحِـماهُ أَي الأُمـور الَّتِـي يحمِيهَـا فَـلا يسـتَطِيعُ أَو لَا يَجُـوزُ لِأَحَـدٍ أَن يتَجَاوزَهَـا، وَقَلْـبُ التَّشـبِيهِ أَبلَـغُ إِذْ جَعَـلَ حمـى الله العظِيـمِ هِـي المحَـارِمُ لَا العَكـس، فَكَأَنَّـهُ يَقُـولُ بَعْـدَ أَنْ أَثبَـتَ مُقَدِّمَـةً: لِـكلِّ ملِـكٍ حمًـى، والله هُـوَ الملـكُ العَظِيـمُ الجبَّـارُ، فَهـلْ تريـدُونَ أَن تعرِفُـوا حمَـاهُ؟ هِـيَ محَارِمُـهُ، وَبَعْـدَ هَـذَا البِنَـاء اللُّغَـوِيِّ المفعَـمِ بِالبلاغَـةِ والمبَالَغَـةِ، والتَّحذِيـرِ أَي عاقِـلٍ سـيقتَرِبُ مـنْ حمَـى العَظِيـمِ الجبَّـارِ.

أَمَّـا عـن جمالِيَّـاتِ التَّشـبِيهِ فَنحِيـلُ القَـارِئَ الكَرِيـمَ إِلَى مَـا قَالَـهُ الطِّيبِـيُّ فِي شَرْحِ المشـكَاةِ تعلِيقًـا عـلَى هَـذَا التَّشـبِيهِ، فقَـدْ قَـالَ: "شـبَّهَ المحـارمَ مـنْ حَيـثُ إِنَّهَـا ممنوعَـةُ التَّبسـطِ فِيهَـا والتَّخطِّـي لحدُودِهَـا، واجبـةُ التَّجنُّـبِ عَـن جَوَانِبهَـا وأطرَافِهَـا بحمَـى السُّـلطانِ، وكَمَـا يحتَـاطُ الرَّاعِـي ويتحرَّزُ عَـن مقَارَبـةِ الحمَـى حَـذرًا عـن أَنْ تتخطَّـاهُ ماشـيتُهُ، فيتعـرَّض لسُـخطٍ، ويسـتوجبُ تَأديبـهُ، ينبغِـي أن يتـوَرَّعَ المكلَّـفُ عَـن الشُّـبهاتِ، ويتجنَّـب عـن مقارَبَتهَـا، كيـلا يَقـعَ فِي المحـارمِ ويسـتحقَّ بـه السُّـخطَ العظيـمِ والعـذابَ الأليـمَ"[٤٥].

فقـولُ الطيبـيِّ: شـبَّهَ المحـارمَ بحمـى السُّـلطَانِ دلِيـلٌ عـلَى مَـا قَدَّمنَـاهُ مـنْ أَنَّ التَّشـبِيهَ مقلُـوبٌ، وهُـوَ مـنَ البلاغَـةِ بِمكَانٍ.

و- التَّشبِيهُ الفَرِيدُ:

اخترْنَـا هَـذَا العنـوَانَ لهـذِهِ الفِقْـرَةِ مـعَ أَنَّـهُ لَا يُوجـدُ فِي أَقسَـامِ التَّشـبِيهِ المعرُوفَـة شَيءٌ اسـمُهُ التَّشـبِيهُ الفَرِيـدُ فِيمَا نعلَـمُ، ولَكِنَّا وجدنَـا تشـبِيهًا فِي خطـبِ **الرَّسُـولِ الأَعظَـمِ** ﷺ يمكِـنُ أَن نسَـمِّيَهُ بِهَـذِهِ التَّسْـمِيةِ لِأَنَّـهُ فَرِيـدٌ مـنْ حَيـثُ هُـوَ، وَنَقصِـدُ قَولَـهُ فِي خطبَـةِ حجَّـةِ الـودَاعِ أَيضًـا: "إِنَّ الزَّمَـانَ **قَـدِ اسْـتَدَارَ كَهَيْئَتِـهِ** يـوم خلـق الله السـماوات وَالْأَرْض السَّـنَةُ اثْنَـا عَـشَرَ شَـهْرًا مِنْهَـا أَرْبَعَـةٌ حُـرُمٌ: ذُو الْقِعْـدَةِ، وَذُو الْحِجَّـةِ، وَالْمُحَـرَّمُ، وَرَجَـبٌ"[٤٦].

وسـمَّينَاهُ تشـبِيهًا فَرِيـدًا لِأَنَّـهُ لَم يعهَـدْ فِي كلامِ العَـرَبِ أَن يشَـبَّهَ الـشَّيءُ بِنفسِـهِ، فَقَـدِ اشـتَرَطُوا فِي التَّشـبِيهِ أَن يَكـونَ لِمعنًـى يَكُـونُ فِي المشَـبَّهِ بِـهِ أَقـوى منـهُ فِي المشـبَّهِ أَمَّـا أَن يشـبَّهَ الـشَّيءُ بِنفسِـهِ

٤٥ الطيبي، شرف الدين. شرح مشكاة المصابيح، تحقيق. عبد الحميد هنداوي، ط١ (الرياض: مكتبة نزار مصطفى، ١٩٩٧)، ج٧/ ٢٠٩٩.
٤٦ صفوت، جمهرةُ خطبِ العربِ في العصورِ الزَّاهرة، ج١/ ١٥٧.

فَتحصِيلٌ حَاصِلٌ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الكَلامِ فَالرَّسُولُ ﷺ يتحَدَّثُ عنْ أَمرٍ غيبِيٍّ، وَهَذَا لَا يَحدُثُ إِلَّا مِنْ نَبِيٍّ، أَفَلا يَستَحِقّ هَذَا المَعنَى الفَرِيدُ أُسلُوبًا فَرِيدًا؟ بَلى وَرَبِيٍّ يستَحِقُّ، لِذلكَ بنَاهُ الرسول ﷺ وَفقَ قَالَبٍ غَيرِ مأْلُوفٍ لَمَّا كَانَ إِخبارًا غَيرَ مأْلُوفٍ فِي لغَةِ العَرَبِ.

الخَاتِمَةُ ونتَائِجُ البَحثِ:

بعدَ هَذِهِ الرِّحلَةِ الغنَّاءِ فِي واحَةِ البلاغَةِ النَّبَوِيَّةِ، والتَّجوَالِ بينَ أفيَائِهَا وَالارتوَاءِ منْ نَمِيرِ زلالِهَا، والتَّعرُّفِ علَى جمَالِيَّاتِ التَّصْوِيرِ بِالتَّشبِيهِ فِي خطَبِ الرَّسُولِ الأَعظَمِ ﷺ يمكِنُ لَنَا أَن نوجِزَ أَهَمَّ النَّتَائِجِ بِالآتِي:

١- وَرَدَ التَّشبِيهُ فِي خطَبِ الرسول الأعظم ﷺ بِعَدَدٍ مَعقُولٍ، وكَانَ عنصُرًا لُغَوِيًّا نَاهِضًا بِدَورِهِ فِي بِنَاءِ المعنَى العامِّ للنَّصِّ، وتنوَّعَتْ أَقسَامُهُ وَكَانَ كُلٌّ منهَا موظَّفًا بِدِقَّةٍ لِلغَرَضِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ.

٢- كانَ التَّشبِيهُ تامُّ الأَركَانِ أَكثَرَ الأَنواعِ ورودًا فِي الخُطَبِ، فقَدْ تجَاوزَ ورودُه أربعَ مرَّاتٍ كَانَ فِي كلِّهَا مُؤَدِّيًا معنًى أَسَاسِيًّا فِي النَّصِّ.

٣- استعمِلَ التَّشبِيهُ المجمَلُ فِي الخطَبِ، وَقَدْ رَأَينَا أَنَّ حَذْفَ الوجهِ إِنَّمَا كَانَ لِأَنَّهُ معلُومٌ منَ السِّيَاقِ.

٤- ورَدَ التَّشبِيهُ البَلِيغُ أَيضًا فِي الخطَبِ، وكَانتَ وَظِيفَتُهُ المبَالَغَة فِي عرْضِ مفهُومِ الأُخوَّةِ بينَ المؤمِنِينَ.

٥- ورَدَ التَّشبِيهُ التَّمثِيلِيُّ بِمِثَالَينِ، وكَانَ الغَرَضُ منهُمَا الإِقنَاعَ والمبَالَغَة، فقَدْ كَانَ التَّشبِيهُ التمثِيلِيُّ وَسِيلَةَ إِقنَاعٍ بالبَعثِ، ولَمْ يَكنْ مجرَّدَ صُورَةٍ فنِيَّةٍ جَاءَتْ للتَّزيِينِ.

٦- استعمِلَ التَّشبِيهُ المقلُوبُ فِي حالَةٍ وَاحِدَةٍ أَدَّتْ معنًى بلاغِيًّا غَيرَ منكَرٍ، حَيثُ جَعل حمى العَظِيم محارمه، وفِي ذَلِكَ مبالَغةٌ بِالتَّحذِيرِ والتَّهوِيلِ.

٧- وردَ استِعمَالٌ نَادِرٌ فِي الخطبِ للتَّشبِيهِ، وكَانَ فِي مرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَقَدْ سَمَّيناهُ التَّشبِيهَ الفَرِيدَ، وقلنَا إِنَّ المعنَى الفَرِيدَ الَّذِي نَهَضَ بِهِ استَحَقَّ أُسلُوبَ أَدَاءٍ فَرِيدًا.

٨- كَانَ التَّشبِيهُ فِي الخطَبِ عنصُرًا أَسَاسِيًّا لَا زركَشَةً لُغَوِيَّةً الغَرَضُ منهَا التَّزيِينُ اللَّفْظِيّ، بَلْ استُعمِلَ عنصُرًا حَامِلًا للمَعنَى، مقنِعًا بِهِ، لَولَاهُ لنقصَ المعنَى منَ النَّصِّ، معَ مَا أَضفَاهُ منْ جَمَالِيَّاتٍ علَى النُّصُوصِ

المصادر :

القرآن الكريم .

ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤.

الإفريقِيّ، ابن منظور. لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤.

البستي، عياض بن موسى. مشارق الأنوار على صحاح الآثار. ط١. المكتبة العتيقة، د.ت.

التهانوي، محمد بن علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق رفيق تحقيق دحروج، علي مراجعة عجم. ط١. بيروت: لبنان ناشرون، ١٩٩٦.

الجاحظ، أبو عثمان. البيان والتبيين. بيروت: دار الهلال، ١٤٢٣.

الجرجَانِي، عبد القاهر. أسرار البلاغَة. تحقيق عبد الحميد تحقيق هنداوي. ط١. بيروت: دار الكتب العلميَّة، ٢٠٠١.

الحموي، ابن حجَّة. خزانة الأدب. تحقيق عصام تحقيق شعيو. ط١. بيروت: دار الهلال، ٢٠٠٤.

الخَطِيبُ القزوينِيُّ. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق الخطيب القزويني. ط٣. بيروت: دار الجيل، د.ت.

السبكِي، بهاء الدِّين. عروس الأفراح. تحقيق عبد الحميد تحقيق هنداوي. ط١. بيرروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣.

السَّكَّاكِيُّ، أبو يعقوب. مفتاح العلوم. تحقيق نعيم تحقيق زرزور. ط٢. دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

الطالِبِيِّ، يحيى. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٣.

الطيبي، شرف الدين. شرح مشكاة المصابيح. تحقيق عبد الحميد تحقيق هنداوي. ط١. الرياض: مكتبة نزار مصطفى، ١٩٩٧.

العاكوب، عيسى علي. المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني، البيان، البديع). مطبوعات جامعة حلب، ٢٠٠٥.

العباسي، أبو الفتح. معاهد التَّنصيص على شواهد التَّلخِيص. تحقيق محمد محيي الدِّين تحقيق عبد الحميد. بيروت: عالم الكتب، د.ت.

العسكَرِيّ، أبو هلال. الصّنَاعَتَين. تحقيق محمد أبو الفضل تحقيق إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩.

الفيومي. المصباح المنير. ط١. بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. د.ط. قم: مطبعة الامير، ١٩٧٨.

القيرواني، ابن رشيق. العمدة. تحقيق عبد الواحد تحقيق شعلان. ط١. القاهرة، ١٩٩٩.

الميدانِي، عبد الرحمن حبنَّكة. البلاغة العربية، أسسها وعلومها. ط١. دمشق: دار القلم، ١٩٩٦.

امرئ القيس. ديوان امرئ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل تحقيق إبراهيم. ط٥. القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨.

بشار، بن برد. ديوان بشار بن برد. تحقيق محمد الطاهر نشر وشرح بن عاشور. ط١. لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٧.

بن سلام، أبو عبيد القاسم. غريب الحديث. تحقيق محمد عبد المعيد تحقيق خان. ط١. حيدر أباد: دائرة المعارف، ١٩٦٤.

بن عاشور، محمد الطاهر. تفسير التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

سيبويه. الكتاب. تحقيق عبد السلام محمد قرأه وعلق عليه هارون. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨.

صفـوت، أحمـد زكـي. جمهـرةُ خطـبِ العـربِ في العصـورِ الزَّاهـرة. ط١. بـيروت – لبنـان: المكتبـة العلميـة، ١٩٣٣.

كارين، تحقيق. ديوان المرقِّشَين. ط١. بيروت: دار صادر، ١٩٩٨.